# فكاهات

## شرلوك هولمز [1]

### — ١٠ —

### النظّارات الذهبية

كنت في ليلة من ليالي آخر نوفمبر سنة ١٨٩٤ مع صديقي شرلوك في منزلنا وكانت الرياح تهب بعنف والامطار تتساقط بغزارة وقد اشتد البرد كثيراً حتى ان النار المستعرة في الموقد لم تكن كافية لتدفئة الغرفة التي نحن فيها . وكان شرلوك مكبًّا وفي يده منظار يفحص بهِ خطوطاً دقيقة مكتوبة فتركتهُ واقبلت الى النافذة المطلة على شارع باكر فوجدتهُ على طولهِ مقفراً مظلماً ما خلا انوار المصابيح المتفرقة التي كانت تتقطع اشعة نورها بتساقط المطر حولها ورأيت في آخر الشارع عربة واحدة تقترب فعجبت من ركابها لخروجهم في مثل تلك الليلة الباردة . وعدت الى شرلوك فرأيتهُ قد طرح منظارهُ جانباً وقال كفى الليلة فان هذا العمل يتعب النظر كثيراً ولحسن الحظ ليس علينا ما يستدعي خروجنا في هذا الليل تحت المطر . ولم يكد يتم كلامهُ حتى اقتربت العربة التي كنت رأيتها قادمة ثم وقفت حركتها امام باب منزلنا وسمعنا قرع الجرس . فنظرت من النافذة فرأيت رجلاً قد ترجل ووقف ينتظر فتح الباب وبعد ان صرف عربتهُ صعد السلم حتى بلغ غرفتنا واذا هو ستانلي هوبكنس الشحني الذي كان شرلوك يحبهُ ويتوقع لهُ مستقبلاً حسناً . ولما استقرّ بهِ الجلوس اقبل عليهِ شرلوك وقال لا بدّ من امرٍ مهمّ اوجب قدومك الينا الآن . فقال هوبكنس حقًّا ايها العزيز انني قضيت يوماً لم اذق فيهِ الراحة فهل قرأتم شيئاً عن حادث يوكسلي .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فقال شرلوك لم أرَ من جرائد اليوم سوى جريدة القرن الخامس عشر. فقال هو بكنس هذه الجريدة لم تكتب سوى بضعة اسطر ليست من الحقيقة على شيء ولكنني في هذه الدقيقة آتٍ من يوكسلي التي هي محل الحادثة فسأقصّ عليكم الخبر بكل تفاصيله . وقد استُدعيت اليها بالبرق في الساعة الثالثة فركبت في سكة الحديد وبلغتها في الساعة الخامسة فاتممت الفحص وعدت في القطار الاخير الى لندن وحال باوغي المحطة ركبت توًّا الى هنا وقد قصدتك قبل كل انسان ايها العزيز شرلوك لدقة الامر وخفائهِ وكثرة مشكلاتهِ مع بساطة ظواهرهِ فانني لم اتمكن من معرفة سبب او دليل اتخذهُ مبدأ لبحثي ولكن لا بدَّ من تلاوة الخبر كما وقع

يوجد في يوكسلي بيت قديم اشتراهُ منذ بضع سنوات رجل شيخ يدعى البروفسور كورام وهو عليل الجسم يقضي اكثر اوقاتهِ في السرير وبعض الاحيان يتوكأ على عصاهُ فيخرج الى الحديقة او يجرّهُ البستاني في عربة صغيرة تختص بالمرضى وقد اشتهر عنهُ انهُ عالمٌ واسع الاطلاع . اما بيتهُ فيتألف من مدبرة المنزل وتدعى مسس ماركر وخادمة تدعى سوسان تارلتون ويعرف الجميع ان صفات الاثنتين حسنة للغاية . وكان البروفسور يؤلف كتاباً علمياً فاضطرّ الى كاتب يعاونهُ فادخل في خدمتهِ اثنين لم يتفق معهما فصرفهما واخذ ثالثاً يدعى ويلوبي سميث وهو فتى جآءهُ توًّا من المدرسة بعد احرازهِ الشهادة ويظهر ان البروفسور لآءمهُ هذا الفتى فكان مسروراً من خدمتهِ . وكانت واجبات الكاتب ان يدون ما يمليهِ عليهِ البروفسور قبل الظهر اما بعد الظهر فكان عليهِ ان يعدّ الشواهد والمواضيع التي تلزم لكتابة الغد . وقد كانت صفات هذا الكاتب حسنة ايضاً كما تبين لي من شهاداتهِ المدرسية ولم يُعلم عنهُ في كل مدة خدمتهِ سوى انهُ كان لطيفاً مطيعاً سليم القلب ومع كل ذلك فقد وُجد في هذا الصباح ميتاً في مكتب البروفسور في احوال تدل على ارتكاب جريمة القتل . وقد اسلفت ان البروفسور كان كالمدفون حيًّا فهو لا يخرج على الاطلاق وكان كاتبهُ المذكور متعلقاً بهِ وبعملهِ وهو لا يعرف احداً من الجيرة فكان كمعلمهِ لا يفارق البيت ايضاً وكذلك المدبرة والخادمة فانهُ لم يكن ما

يستدعي خروجها البتة . بقي البستاني مورتمير واصلهُ جندي شهد حرب القرم في حداثتهِ وهو يقيم في كوخ عند طرف الحديقة . ولا يوجد في المنزل غير الاشخاص المذكورين . اما باب الحديقة فيبعد نحو مئة يرد عن الشارع العمومي ويقفل بزلاج بسيط لا يصعب فتحهُ . ولما اخذت في استنطاق الاشخاص المذكورين لم اجد بينهم من يستطيع ان يفيدني شيئاً سوى الخادمة سوسان فانها قالت لي انها كانت بين الساعة الحادية عشرة والظهر في الطبقة العليا منهمكة بتعليق الستائر وكان البروفسور لا يزال نائماً لانهُ اذا لم يكن الجوّ دافئاً فهو لا يفارق سريرهُ حتى ساعة الظهر وكانت المدبرة في جهةٍ اخرى من المنزل . اما الكاتب سميث فكان في غرفتهِ وسمعتْهُ خرج منها فاجتاز الممر ونزل السلم ليذهب الى المكتب الذي هو في الغرفة السفلى وبعد نحو دقيقتين قرع اذنيها صراخ مخيف ارتفع من تلك الغرفة وكان الصوت غريباً جدًّا وغير طبيعي حتى لم تعرف هل كان صوت رجل او امرأة . ثم سمعت في نفس الوقت جري جسمٍ ثقيل كان يهتزّ لهُ البيت وعقب ذلك سكوت تام . اما الخادمة فانهُ اصابها شيء من الذهول فلما ملكت روعها نزلت السلم وكان باب المكتب مقفلاً ففتحتهُ فوجدت الكاتب سميث ملقىً على الارض فحاولت ان توقظهُ او ترفعهُ عن الارض واذا بالدم يتدفق من جرح في اسفل عنقهِ . وكانت الآلة التي استعملت في ذلك ملقاةً على الارض بجانبهِ وهي سكين صغيرة مقبضها من العاج وشفرتها حادّة طويلة وكانت دائماً موضوعة على مكتب البروفسور وهي مكشطةٌ يستعملها لمحو الكتابة او لبري الاقلام . وقد قررت الخادمة المذكورة انها ظنتهُ قد مات ولكنها اخذت قليلاً من الماء فسكبتهُ على جبينهِ ففتح عينيهِ نحو نصف دقيقة وقال بصوت ضعيف « البروفسور » . . « هي » . . ثم اجتهد ان يتم كلامهُ فلم يستطع فرفع عينيهِ قليلاً ثم فاضت روحهُ . وكانت اذ ذاك قد جاءت المدبرة ولكنها لم تسمع هاتين الكلمتين الاخيرتين فلما رأت ما كان تركت الخادمة بجانب الجثة واسرعت الى غرفة البروفسور وكان جالساً في سريرهِ مضطرباً لانهُ كان قد سمع الصراخ وعلم ان شيئاً مهمًّا قد حدث في بيتهِ . وقد اكدت المدبرة

انهُ كان لا يزال بثياب النوم وانهُ يستحيل عليهِ لبس ثيابه بدون مساعدة البستاني مورتيمر الذي كان قد اوصاهُ ان يأتيهُ في الساعة الثانية عشرة

اما اقرار البروفسور نفسهِ فكان انهُ سمع الصراخ عن بعد ولم يعرف شيئاً غير ذلك ولم يفهم مغزى كلمتي سميث الاخيرتين بل يعتقد انهما من هذيان الموت . وقد اكد ان ليس للكاتب عدوّ ولا يمكن ان يكون لهُ عدوٌّ في العالم وانهُ حالما سمع بما حصل اوفد البستاني لمناداة الشحنة فاستدعاني هؤلآء بالبرق ولما ذهبت بنفسي وجدت كل شيء في محلهِ فاوصيت وشددت الاوامر بعدم المرور على الطريق الموصل الى الحديقة وان لا يغير شيء في الغرفة البتة . واتممت الفحص والملاحظة متبعاً طريقتك ايها العزيز شرلوك حتى اذا انتهيت اتيت بنفسي لاوضح لك ما رأيت واستشيرك في الامر وقد رسمت خريطة البيت ليسهل عليك معرفة صورة الحادث وهاهي ذه . ثم اخذ ورقة وناولها لشرلوك فجعل يفحصها واقتربت منهُ فرأيت الرسم وصرنا كاننا في نفس البيت الذي حصلت فيهِ الجناية . ثم اتم هو بكنس حديثهُ فقال لما دخلت الغرفة فحصت اولاً عن محل دخول وخروج الجاني فتحققت انهُ كان من باب خلفي يتصل بالحديقة اذ لا يوجد بابٌ آخر يسهل الدخول منهُ فانهُ يوجد بابان آخران اولهما هو الذي دخلت منهُ الخادمة والآخر يوصل الى غرفة البروفسور . فوجهت انتباهي الى الباب الموصل الى الحديقة وكانت الارض لا تزال مرطبة بالمطر فبذلت جهدي في البحث عن اثر الاقدام فظهر لي ان الجاني من الماهرين جدًّا في صناعتهم لاني لم اجد اثر قدم واحدة في كل الممرّ فاستنتجت انهُ سار على طرف الممر فوق العشب النابت ليمنع ظهور آثارهِ ودلني على ذلك تكسير الحشيش المذكور مع انهُ لا البستاني ولا غيرهُ مرَّ في تلك الجهة منذ الصباح وقد بدأ المطر من الليل . اما هـذا الممر فيتصل بالشارع وطولهُ نحو مئة يرد وهو عند آخره مبلط فلم اجد على البلاط اقل اثر . ثم عدت الى العشب فما تمكنت من معرفة الآثار هل كانت قادمة او ذاهبة ولا عرفت حجم القدم لان الاثر غير واضح تماماً . فتململ شرلوك في كرسيهِ وقال وماذا تحققت اذا كنت لم تتحقق شيئاً . فقال

هو بكنس مهلاً ايها العزيز فقد تحققت دخول شخص الى البيت فسرت في الرواق المتصل بالحديقة وكانت ارضهُ مغطاة ببساط فلم تبن عليهِ الآثار و بلغت المكتب الذي حصلت فيهِ الجناية فوجدت فرشهُ بسيطاً في الغاية وفيهِ مائدة كبيرة لها ادراج على الجانبين وخزانة في الوسط وكانت الادراج دائماً مفتوحة لعدم احتوآئها على ما يهمّ اما الخزانة فكانت مقفلة وهي تحتوي على اوراق مهمة وذات قيمة غير ان البروفسور اكد لي بعد الفحص الدقيق انهُ لم يفقد شيء من مكتبهِ مما داني على ان الجاني لم تكن غايتهُ السرقة . ثم وصلت الى جثة الفتى فرأيت الجرح في جانب عنقهِ الايسر وهو ممتدّ من الامام الى الورآء مما يدل على انهُ ليس هو الفاعل بنفسه وانهُ لم يقع على السكين بالقضآء والقدر لاننا وجدنا السكين ملقى على بعد من الجثة . وفضلاً عن ذلك فان كلمتي القتيل تدلان على ان الفاعل آخر وفوق هذا فقد وجدنا في يدهِ اليمنى نظارات ذهبية وقد علمنا انهُ كان سليم النظر لم يستعمل النظارات قط فثبت لنا انهُ انتزع هذه من القاتل . فاخذ شرلوك النظارات بيدهِ ففحصها بدقة ثم قال ان الجاني يا هو بكنس هو امرأة ثمينة اللباس لها انف عريض وعينان صغيرتان وجبهة واسعة وكتفان مستديرتان وقد ذهبت الى احد باعة النظارات مرتين في هذا الشهر . وبما ان نظاراتها قوية للغاية ولا يوجد كثير من تجار هذا الصنف فيمكنك بسؤالهم عنها ان تتوصل الى معرفتها سريعاً

وبينما هو بكنس وانا نتعجب من كلام شرلوك قال ان النظارات قد تكون من افضل الادلة لمعرفة اصحابها اذا جُهلوا ونحافة هذه النظارات تدل على ان صاحبتها امرأة وكونها من الذهب الخالص تدل على ان باقي لباسها حسن وثمين ويستدلّ من اتساع الفتحة بين الزجاجتين ان انفها عريض وقصير و يغلب على صاحب هذا الانف ان تكون عيناهُ صغيرتين وجبهتهُ متسعة وكتفاهُ مستديرتين . اما ذهابها الى بائع النظارات مرتين فان فتحة ما بين الزجاجتين مبطنة بالفلين وقد لاحظت ان احدى القطعتين لا تزال جديدة والاخرى قد اسودّت من العرق والاستعمال فعلمت ان احدى القطعتين سقطت فاضطرت السيدة ان ترجع الى

البائع لتركيب غيرها . فقال هو بكنس لله درك يا شرلوك فقد كانت النظارات معي كل هذا الوقت ولم يخطر لي قط انهُ يؤخذ منها مثل هذه الادلة . اما الآن وقد علمت الخبر بتمامهِ كما اعلمهُ انا او اكثر فقد بقي عليَّ ان ازور جميع المحلات التي تباع فيها النظارات بعد ان ارجع صباح غدٍ الى يوكسلي لعلي اتوصل الى شيء جديد . فقال شرلوك واظنك ترغب ان نرافقك فلا انكر انني ارى في هذا الامر ما اود ان افحصهُ بنفسي فسنرافقك غداً ان شآء الله واذ لا فائدة من الخروج الآن في هذا الليل العاصف فقم بنا نتوسد هذه المقاعد ونريح اجسامنا استعداداً للغد

وفي الصباح هدأت العاصفة فسرنا وكان البرد قارساً جدًّا فاقلَّنا القطار الى اقرب محطة نصل منها الى يوكسلي وسرنا من هناك الى ان بلغنا الحديقة فدخلنا وبدأ شرلوك بفحص الممرّ حيث كانت آثار الاقدام على العشب النابت وكان يهز رأسهُ من حين الى آخر ثم قال يظهر لي ان المرأة لم يكن قصدها القتل والاّ لكانت احضرت سلاحها معها ولم تستخدم المكشطة التي وجدتها على مائدة البروفسور . ولكن من لنا بمن يعلمنا مقدار الوقت الذي صرفتهُ في المكتب قبل وصول سميث المسكين . فقال هو بكنس انها لم تلبث طويلاً لاني علمت من مسس ماركر المدبرة انها كانت في نفس الغرفة قبل الحادث بربع ساعة . فقال شرلوك هذه فائدة ضرورية لكن بقي ان نعلم ما ذا كان غرض القاتلة من دخولها الغرفة . واذ ذاك وقع نظرهُ على قفل الخزانة فقال ها انني ارى اثراً على نحاس القفل كانهُ تجربة لفتحهِ فاين يكون مفتاحهُ عادةً . فقيل لهُ انهُ لا يفارق البروفسور . فهزَّ رأسهُ وكانهُ استنتج شيئاً آخر ثم صرف المدبرة وقال يظهر اننا قد توصلنا الى تتبع الامر كما حصل فان القاتلة دخلت من هذا الباب وتوجهت الى الخزانة فحاولت فتحها وبينما هي كذلك اذ دخل سميث فاسرعت في اخراج المفتاح فجرح النحاس وترك هذه العلامة . واراد سميث ان يقبض عليها فتناولت شيئاً لتدفعهُ عنها فاتفق لسوء الحظ انها صادفت يدها السكين فاغمدتهُ في عنقهِ وكانت الضربة قاضية ويظهر انها عادت من حيث اتت . وقد فهمت ان هذا الباب يفضي الى الرواق

ومنهُ الى الحديقة والباب الذي بجانبهِ يوصل الى غرفة البروفسور فهاموا بنا اليهِ . فسرنا في ممرّ كالسابق مفروش ببساط ولما بلغنا غرفة البروفسور وجدناها فسيحة متسعة وقد ملئت خزائنها بالكتب والمجلدات الضخمة و بقي كثير منها ملقى هنا وهناك لعدم وجود محل لهُ . وكان في وسط الغرفة سرير عليهِ البروفسور وهو طويل القامة نحيف الجسم رقيق الوجه مستطيلهُ ولهُ عينان سوداوان عليها آثار القلق والخوف . وكان شعر رأسهِ ولحيتهِ ابيض كالثلج ما خلا القسم المحيط بفيهِ فكان مصفرّ اللون من الدخان وكانت لفافة التبغ بين اصابعهِ

فبعد ان حيياناهُ وترحب بنا قال انني اشكرك يا حضرة المستر هولمز لتكرمك بالمجيء لمساعدتنا فقد سمعت عنك ما يؤكد لي انك ستوضح لنا الامر بتمامهِ. ولست ازيدكم علماً انني خسرت بفقد سميث خسارةً لا تعوض فقد كان يدي اليمنى وأرى بمصرعهِ انني فقدت الذاكرة ولم يعد دماغي يقوى على تصوير الافكار فيا لله ما اشد هذه المصيبة عليّ . ثم قدم لنا من دخانهِ وقال انهُ مولع بالتدخين وانهُ يستحضر اللفائف من مصر فينفق منها في كل اسبوعين الف لفافة . فرفضت انا اما شرلوك فاخذ لفافة وجعل يشربها بمنتهى الشره وهو يتخطى في الغرفة ولما فرغت اشعل الثانية والثالثة والرابعة فعجبت لذلك وتحققت ان لا بدّ لهُ في ذلك من غاية . ثم وقف فجأةً وسأل البروفسور عن رأيهِ في مقتل الفتى وكلمتيهِ الاخيرتين . فقال البروفسور انا اعلم انهُ لم يكن لسميث عدوٌّ قط ولا يوجد من يهمهُ قتلهُ والذي اظنهُ انا انهُ انما انتحر لاسباب غرامية نجهلها . اما كلمتاهُ الاخيرتان فلا أفهم منهما شيئاً ولعلهما كانتا مجرد توهم من الخادمة التي نقلتهما . واما وجود النظارات في يدهِ فيمكن انها كانت اثراً من الحبيب الذي جفاهُ او اوجب يأسهُ حتى انتحر . فقال شرلوك وهل يمكنك ان تخبرني عما يوجد في الخزانة التي في المكتب . قال ليس فيها ما يهم اللصوص فانها تحتوي على اوراقي البيتية ورسائل زوجتي المسكينة وشهادات المدرسة والامتيازات التي نلتها في صباي وهو ذا مفتاحها فافحصوها اذا شئتم . فاخذ شرلوك المفتاح وفحصهُ بنظرهِ الحاد ثم اعادهُ اليهِ وقال لا ارى ما يوجب ذلك ونحن

خارجون الى الحديقة لاخلو بافكاري وسأعود بعد الظهر ويغلب على ظني انني سأتمكن حينئذٍ من اطلاعك على الحقيقة

ولما خرجنا ذهب هو بكنس الى القرية ليسأل الشرطة لعلهم سمعوا شيئاً أو اكتشفوا امراً يختص بالحادث وبقيت وحدي مع شرلوك وكان صامتاً . فسألتهُ هل تبين لهُ دليلٌ او وجد املاً يقربهُ من الحقيقة . فقال امامي دليل عظيم الاهمية يا وطسن وهو اللفائف العديدة التي شربتها في غرفة البروفسور فاذا صدق ظني تمكنت من القآء القبض على القاتلة في منتصف الساعة الثالثة واذا خانتني الفطنة في هذه المرة ذهبت توًّا الى باعة النظارات فلا اعود حتى اعرف الغريم . ومرت بنا المدبّرة مسس ماركر فناداها شرلوك وجعل يحادثها وكان لهُ مقدرة غريبة على محادثة السيدات ثم اخذ يسألها عن اطوار البروفسور وبعض عوائده فقالت في عرض الحديث انهُ مولع جدًّا بالتدخين فهو لا يترك اللفافة من يده نهاراً ولا ليلاً الى ان ينام . فقال شرلوك فمن الضروري اذاً ان يفقد البروفسور شهوة الطعام ويغلب على ظني انهُ لم يأكل صباح هذا اليوم وربما لم يتناول طعام الظهر ايضاً . قالت بل الامر بالعكس فقد كان آكلهُ قليلاً الى ان حصلت جناية الامس فقد تعشى ضعفي طعامه العادي وتناول في هذا الصباح كل ما احضرتهُ لهُ من الزاد واوصاني اذا صنعت لهُ طعام الظهر ان اكثر اللحم . مع اني انا منذ دخلت المكتب امس ورأيت جثة القتيل الى الآن لم اذق القوت

وعاد هو بكنس فاخبرنا انهُ علم من الشرطة ان سيدة غريبة عن القرية جآءتها منذ يومين ولكنهم لم يروها الا مرة واحدة ويظن انها عابرة سبيل فقط . ولما صار موعد الغدآء دخلنا جميعنا الى غرفة الاكل واكلنا مريئاً . ولما فرغنا من تناول الطعام وشرب شرلوك لفافتهُ نظر الى ساعته ثم وثب فجأةً وقال قد بلغنا الساعة الثانية فهلموا بنا الى غرفة الاستاذ . ولما دخلناها وجدناهُ قد نهض من سريره وارتدى ثيابهُ وجلس على كرسي كبير فترحب بنا ثم ادنى علبة اللفائف من شرلوك وقال هل تمكنت من اكتشاف شيء من هذا السر العظيم . وقبل ان يجيبهُ شرلوك مد يدهُ

ليأخذ لفافةً وتظاهر بعدم الانتباه فاوقع العلبة الى الارض وتناثرت اللفائف فانحنينا لالتقاطها واذ ذاك انتصب شرلوك وقال نعم يا حضرة البروفسور قد وضحت لي الحقيقة . فنظرت الى هوبكنس فرأيتهُ ينظر اليَّ بتعجبٍ شديد . اما البروفسور فزاد اصفرار وجههِ وقال كيف ظهرت لك هل كان ذلك في الحديقة . فقال شرلوك كلاّ بل في هذه الغرفة . فقال البروفسور وقد كاد ينقطع صوتهُ هنا ؟ وفي اي وقت . قال في هذه الدقيقة . فتبسم البروفسور بتكلف وقال يظهر لي انك تهزأ بنا كأن الامر لا يستحق الاهتمام . فقال شرلوك قد اتّبعت حلقات البحث يا مولاي وتاكدت متانة كل حلقة منها فانا لا اعرف مقدار اشتراكك في هذه الفاجعة ولكني اعتقد انني سأسمع تفاصيلها من فيك عما قليل . ولكي اوفر عنك تلاوة ما عرفتُهُ حتى الآن اقول

ان سيدةً ذات لباس فاخر دخلت مكتبك بالامس وقصدها الاستيلاء على واراق تهمها مودعة في خزانة المكتب وكان لديها مفتاح نظير المفتاح الذي اريتنيهِ واوكد لك انك لم تعرف بقصدها انت وقد فتحت الخزانة وأخذت ما تريد . واتفق اذ ذاك دخول الكاتب سميث فاخرجت المفتاح بسرعة فخدش بخروجه القفل النحاسي وكان من الواجب ان يظهر مثل ذلك الخدش على طرف مفتاحك لو كان هو نفسهُ الذي استُعمل . ولما رأى الكاتب السارقة همّ بالقبض عليها فدفعتهُ عنها بشيء اخذتهُ عن المائدة وهي لا تدري ما هو فاتفق ان كان السكين وتسبب عن ذلك موت الفتى على غير قصد من السيدة لانها لو كانت مصممة على ارتكاب القتل لكانت احضرت سلاحها معها . وكانت هذه السيدة تستعمل النظارات فلما رفعت يدها بالسكين حاول ان يدفعها عن نفسهِ فوقعت يدهُ على نظاراتها ثم سقط الى الارض وبقيت النظارات في يدهِ . ولما كانت حسرآء البصر لا ترى بوضوح بدون نظاراتها حارت في امرها ورأت عند خروجها من الباب رواقاً مستطيلاً مفروشة ارضهُ ببساط فظنتهُ الرواق الذي دخلت منهُ من الحديقة والرواقان متشابهان ولما بلغت آخر الرواق رأت باباً فتحتهُ فوجدت نفسها امامك في هذه الغرفة

فجحظت عينا البروفسور وقطب حاجبيهِ وبانت عليهِ علائم الانزعاج والارتبارك فقال يظن السامع يا مستر شرلوك ان قصتك حقيقية فكيف امكن ان تدخل القاتلة الى غرفتي ولا اراها مع اني لم افارق الغرفة ولم اكُ نائماً . فقال شرلوك انا لم اقل انك لم ترَها بل اؤكد انك رأيتها وعرفتها وكلمتها وساعدتها على الاختفآء . فاحمرّ وجه الاستاذ ولم يملك غيظهُ وقال لهُ لقد ثبت عندي انك تهذي وقد فقدت عقلك يا شرلوك فاذا كنت تدعي انني ساعدتها على الاختفآء فاين هي الآن . فقال شرلوك بلطف وبرود عظيمين هي يامولاي هنا واشار بيدهِ الى خزانة صغيرة مقفلة كانت الى جانب الغرفة . فبانت على البروفسور اشارات اليأس وكان قد انتصب فتلاشت قواهُ وسقط على كرسيهِ خائر العزم غائر العينين . وفي نفس الدقيقة فُتح باب الخزانة التي اشار اليها شرلوك وخرجت منهُ سيدة فقالت قد صدقت يا هذا فها انا ذه وكانت هيئتها وجسمها مطابقة للوصف الذي ذكرهُ شرلوك سابقاً . وما رآها هوبكنس حتى وثب اليها فقبض على يدها فدفعتهُ عنها بلطف وقالت انني اسيرتكم ولم يعد في امكاني الهرب فلا تسرع في اخذي . وانني سمعت كلامكم وعلمت انكم عرفتم الحقيقة فانا اعترف امامكم بانني القاتلة وان يكن القتل عن غير تعمد . ثم تغير لونها تغيراً سريعاً فقالت لم يبقَ لي الا دقائق قليلة فلا تقاطعوني في حديثي لانهُ يجب ان اعترف بكل شيء وبكل سرعة

انني زوجة هذا الرجل الذي تدعونهُ البروفسور وتظنونهُ انكليزي الاصل وما هو بالحقيقة الا روسي واسمهُ سرجيوس. وكان البروفسور قد امتقع واصبح اشبه بالموتى من الاحيآء فنظرت اليهِ بازدرآء ومضت في حديثها فقالت وانني اعجب من تعلقهِ بحياتهِ الدنيئة وقد نزع حياة كثيرين سواهُ ولكنهُ يوجد اله فلا بد ان يلقى جزآءهُ آجلاً او عاجلاً . اجل انني زوجة هذا الخبيث وقد اقترن بي وهو في الخمسين من عمرهِ وانا في العشرين وكان ذلك في روسيا وقد رضيت بهِ لضعف عقلي وسوء طالعي . وكنا جميعاً من جمعية النيهيلست التي تعرفونها فاتفق ان قامت جمعيتنا بثورةٍ قتل فيها بعض رجال الحكومة فسجن كثيرون والقي القبض

على عدد من المتهمين ونهض هذا الردي، ليخلص نفسهُ فوشى بزوجته واخوانهِ وكانت نتيجة خيانتهِ ان ساقوا بعضنا الى النطع والبعض الى سيبيريا وكنت انا من جملة المنفيين غير ان نفيي كان الى مدة قصيرة . اما زوجي فجمع ما لديهِ من اموال الجمعية وامواله وهرب الى انكلترا متخفياً ليقينهِ بانهُ اذا علمت الجمعية بمقرهِ اهلكتهُ للحال . وكان بين رفاقنا في الجمعية فتى احببتهُ واحبني وكان اديباً لطيفاً بعكس زوجي هذا بل كان قد رأى الاقلاع عن غاية الجمعية لاعتقادهِ سوء مقاصدها وكتب الينا مراراً ان نحل عنا قيودها ونبتعد عن الاختلاط بها وقد علمت اني لو اظهرت رسائلهُ العديدة التي كان يكتبها الينا او مذكراتي اليومية لكفت برهاناً يوجب فك اسرهِ وخلاصهُ من النفي الابدي الذي حكم عليهِ بهِ ظلماً . اما زوجي فكان قد اخفى تلك الرسائل والمذكرات وقد صمم على اهلاك ذلك الفتى ونجح بعض النجاح لانهم ارساوا حبيبي الكسيس مقيداً بالاغلال الى سيبيريا حيث قضي عليهِ ان يقضي باقي حياتهِ في الشقآء والعذاب

وكانت تظهر عليها علائم الآلام الداخلية ولايزال لون وجنتها يزداد تغيراً فقالت يجب ان اتمم حديثي بسرعة فلا تمنعوني . فاما انتهت مدة منفاي خرجت ابحث عن رسائل الكسيس ومذكراتي لاعتقادي انها تقنع الحكومة الروسية ببرآءة ساحتهِ واتوصل بها الى اطلاق سراحهِ . وعلمت ان زوجي قد جآء الى انكلترا فتبعتهُ وقضيت اشهراً في البحث عنهُ حتى اهتديت الى محل وجودهِ وعلمت انهُ يحفظ في خزانتهِ تلك الاوراق وانني اذا ذهبت اليهِ رأساً وطلبتها منهُ لا يسلمها اليّ فعمدت الى الحيلة واستأجرت رجلاً دخل في خدمتهِ بصفة كاتب وهو الكاتب الذي كان قبل الفتى سميث فوجد ان الاوراق محفوظة في الخزانة فطلبت منهُ ان يأتيني بهيئة القفل ويرسم لي مدخل البيت وغرفهُ ففعل واخبرني ان المكتب لا يدخلهُ احد في الصباح لان البروفسور يبقى مع كاتبهِ في غرفتهِ الى الظهر . فجمعت كيدي وعملت المفتاح وصممت على المجيء واخذ الاوراق بنفسي وقد نجحت في عملي ففتحت الخزانة واخذت الاوراق وكنت على وشك اقفالها فدخل الكاتب

فجأةً وقبض على يدي وكنت قد رأيتهُ في الصباح على الطريق وسألتهُ عن محل سكنى البروفسور . فقاطعها شرلوك وقال نعم وقد اخبر البروفسور بذلك لان كلمتيهِ الاخيرتين « البروفسور » و «هي» تفيدان انهُ متى قيل للبروفسور « هي » عرف انها السيدة التي ذكرها لهُ . فقالت السيدة لا تقاطعني يا هذا لانهُ يجب ان اتمم حديثي في الحال . واذ ذاك اردت ان ادفع الفتى عني وصادفت يدي السكين فاغمدتها في عنقهِ وانا فاقدة الادراك . فلما سقط اسرعت من الغرفة ولم اهتدِ الى الطريق التي دخلت منها فما وجدت نفسي الا في هذه الغرفة فرآني زوجي وعرفني وهمَّ باظهاري فتهددتهُ بأن حياتهُ في قبضة يدي وانهُ اذا شكاني الى الحكومة شكوتهُ الى الجمعية التي لا تزال تبحث عنهُ . ولم افعل ذلك رغبةً مني في الحياة بل لرغبتي في البقآء الى ان اتمم عملي واخلص الكسيس المظلوم . وعرف زوجي انني انفذ تهديدي اذا اصرَّ وكان جباناً يخاف على حياتهِ الخبيثة فادخلني الى هذه الخزانة وهي قديمة جدًّا كما ترون قد ملأها العنكبوت . وكان اذا اتاهُ طعامهُ الى غرفتهِ يقفل بابهُ ويدعوني فآكل واشرب معهُ وقد اتفقنا انهُ بعد خروج الشحنة انسلّ ليلاً كما دخلت واترك هذه الديار فعاجلنا القضآء بل ادركت غايتنا فطنتك ياحضرة المستر شرلوك لاني سمعتهم ينادونك بهذا الاسم ولا اعتقد الا انك من ابالسة الجحيم . ثم اخذت من صدرها رزمة اوراق وقالت هذه هي الاوراق التي يتوقف عليها خلاص الكسيس فمهما تكن يا شرلوك من الملائكة البيض او السود فانهُ يلوح على وجهك علامات الصدق والشرف فاستحلفك بشرفك ان توصل عني هذه الاوراق الى السفارة الروسية . اما انا فقد اتممت عملي وعلى الدنيا السلام

ولما قالت ذلك اخذت من يدها قارورة صغيرة وادنتها من فيها وكان شرلوك يراقبها فوثب اليها كالنمر الضاري ونزع القارورة من يدها ولكنها كانت قد تجرعت ما بقي فيها . فضحكت ضحكةً منكرةً وقالت قد تأخرتم فانني قد ابتلعت نصف هذا قبل ان اخرج من مخبئي وانا لا اجهل فعل هذا السائل فلذلك اسرعت باقراري قبل ان تعاجلني المنية وحين اتممت كل ما اريد اتمامهُ ابتلعت الباقي ...

ان رأسي ... وانا ذاهبة ... لا تنسَ الاوراق .... ثم تشنجت اعضآؤها وانتفضت انتفاضاً مخيفاً وسقطت الى الارض فاقدة الحياة

. . . . . .

وبينما نحن عائدون الى لندن قال شرلوك ان الامر كان بسيطاً للغاية ولكنهُ لو لم يخطف القتيل النظارات التي سهلت لنا كشف القاتلة لذهب كل اجتهادنا ادراج الرياح . وقد عرفت من قوة النظارات ان صاحبها لا يمكنهُ ان يرى طريقهُ واضحاً بدونها ولذلك تحققت انهُ يستحيل ان يرجع في الحديقة دائماً على طرف الممرّ فوق العشب النابت لانهُ يصعب ذلك حتى على سليم البصر فايقنت ان القاتلة لم تفارق البيت ما لم يكن لديها نظارات اخرى وهذا بعيد عن الاحتمال . ولما رأيت مشابهة الممرّ الموصل الى الحديقة للممر الموصل الى غرفة البروفسور خُيّل لي انها في خروجها غلطت فوصلت الى الغرفة بدل الحديقة ولما دخلتُ الغرفة اول مرة فحصتها بدقة لعلي اهتدي الى مخبإٍ فيها فلم اجد اثراً للابواب السرية ورأيت البساط مثبتاً في الارض بالمسامير فتحققت انهُ لا يوجد منفذ تحتهُ . وكانت جميع الخزائن زجاجية الابواب ملأى بالكتب الا تلك الخزانة القديمة فشككت فيها ووجهت اليها اهتمامي ثم جعلت اشرب تلك اللفائف بشَرَه ولم يكن قصدي الاّ القآء رمادها الى الارض وعلى الخصوص امام تلك الخزانة ثم خرجنا واعتقدت ان القاتلة لا تستطيع البقآء بدون قوت فلا بد ان تخرج من مخبئها فتظهر آثار اقدامها على رماد اللفائف وساعدني في ظني هذا ما قالتهُ لي المدبرة عن البروفسور من انهُ بعد حدوث القتل ازداد اكلهُ فلم يبقَ عندي ريب ان شخصاً آخر يشاركهُ في طعامهِ . فلما انتهى موعد تناول الطعام ودخلنا الغرفة وقدَّم لي لفافة احتلت حتى اوقعت العلبة الى الارض فكان لي فرصة اراقب فيها الرماد الذي نصبتهُ شركاً فوجدت ان القاتلة قد خرجت من مخبئها في اثنآء غيابنا ....

ولما اتم شرلوك حديثهُ كنا قد صرنا بقرب دار الشحنة ففصل عنا هو بكنس ليعود الى اشغالهِ وهو يترنح من شدة العجب واخذنا نحن طريق السفارة الروسية